مشكلة فلسطين من واقع الوثائق الرسمية

بقلم تحسين محمد بشير

تصريح بلفور :

فى ١٩١٤ كانت فلسطين ولاية عثمانية ثم نشبت الحرب العظمى ، وانضمت تركيا إلى ألمانيا ثم استولت الجيوش البريطانية على فلسطين . وفى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ أرسل وزير الخارجية البريطانى خطابا إلى اللورد روتشيلد ضمنه التصريح المشهور باسم تصريح بلفور الذى ينص على أن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف والارتياح إلى المشروع الذي يراد به أن ينشأ فى فلسطين وطن قومى لليهود ، وأنها ستبذل كل ما فى مقدورها لتحقيق هذه المهمة ، على أن يكون مفهوما بوضوح ألا ينتج عن ذلك إجحاف بالمصالح المدنية والدينية للسكان غير اليهود فى فلسطين ، ولا بالحقوق السياسية التى يتمتع بها اليهود فى غير فلسطين .

وفى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ وافق مجلس عصبة الأمم على صك الانتداب على فلسطين ، والذى أشير فيه إلى التصريح السالف الذكر وبذلك اتخذ التصريح الصيغة الدولية .

وقد أثار ذلك التصريح الكثير من التعليقات وقال ويزمن « إن هدفنا

هو تكوين دولة صهيونية وذلك لا يتم إلا خطوات أولها وضع فلسطين تحت حماية دولة صديقة كبريطانيا تسهل الهجرة»، ورأى فيه العرب خيانة لقضيتهم وتعارضاً مع الوعود السابقة التى بذلها الحلفاء لهم .

الانتداب البريطانى :

وقام الانتداب البريطانى بتحقيق السياسة التى أشار بها صك الانتداب ، وقام اليهود ممثلين فى الوكالة اليهودية بتشجيع الهجرة إلى فلسطين وتوطيد مركزهم فى البلاد ، وقام العرب ببذل المجهودات المتتالية لتحقيق عروبة فلسطين ومنع الهجرة، ويلاحظ أن جهود العرب فى تلك الفترة كانت موجهة إلى الإنجليز

وكان من الطبيعى أن ينشأ الاحتكاك بين القوى الثلاث المتنازعة وهى العرب واليهود والإنجليز واتسمت تلك الفترة التى امتدت حتى قيام الحرب العالمية الثانية بلجان التحقيق والبحث نجمل أمرها فيما يلى : —

(١) لجنة شو The Shaw Commission

أرسلت هذه اللجنة نتيجة للاضطرابات حول حائط المبكى وأصدرت تقريرها في ١٢ مارس سنة ١٩٣٠ وأوصت الحكومة الإنجليزية بتقرير سياسة واضحة ، وخاصة فيما يتعلق بالأراضى والهجرة .

(٢) لجنة سمبسون Simpson

وصدر تقرير المهندس سير جون سمبسون فى أغسطس سنة ١٩٣٠ مشيراً

إلى ظاهرة البطالة ، وعـدم كفاية الأراضى لمهاجرين جدد وأوصى بايجاد عمل للمتعطلين وتحديد الهجرة .

ثم صدر الـكتاب الأبيض لعـام ١٩٣٠ فهاج اليهود لما جاء فيه من تحـديد الهجرة كعلاج لحالة البطالة فى فلسطين ، ونتج عن هياج اليهود أن أرسل الوزير الإنجليزى ماكدونالد خطابا إلى ويزمن يجعل سياسة ذلك الـكتاب الأبيض لاغية ، ومن ثم أطلق العرب عليه اسم الـكتاب الأسود .

ثم صدر تقرير فرانش سنة ١٩٣١ ويوصى بعدم إباحة بيع جزء من الأراضى العربية ، لأن إباحة بيع الأراضى سيجعل العرب بلا أرض .

وفى سنة ١٩٣٣ فازت النازية فى ألمانيا وقامت بسياسة اللاسامية واضطهاد اليهود مما ترتب عليه تدفق المهاجرين إلى فلسطين .

وتفاعلت عدة عوامل منها تدفق الهجرة ، وازدياد بيع الأراضى ، والازمة الاقتصادية ، فقامت الثورة العربية سنة ١٩٣٦ ويقول عنها جون [1] مارلو « إنها تختلف عن الاضطرابات السابقة بسبب اشتراك الجماهير التى تأثرت تأثراً بالغا بالضغط الاقتصادى اليهودى » .

لجنة بيل Peel سنة ١٩٣٦ :

قامت تلك اللجنـة ببحث سبب الثورة وإيجاد حل للمشـكلة ، وصدر تقريرها فى يونيو سنة ١٩٣٧ وكانت توصيتها الاساسية إنهاء الانتداب وتقسيم فلسطين ، وذلك بخلق دولة يهودية تمتد على الساحل من حدود لبنان إلى جنوب

(1 Rebellion in Palestine by John Marlowe.

يافا وتشمل عكا وحيفا وتل أبيب ، مع ارتباط تلك الدولة بانجلترا بمعاهدة صداقة وتحالف ، كما رأت وضع منطقة القدس وبيت لحم وممر يصل القدس بيافا ماراً باللد والرملة تحت انتداب انجليزى بواسطة عصبة الأمم ، وضم بقية أراضي فلسطين إلى شرق الأردن مع ارتباطها ببريطانيا بمعاهدة صداقة وتحالف .

وأوصى كذلك بإعطاء ضمانات للأقليات فى كلتا الدولتين وتبادل السكان بينهما وإعطاء العرب مساعدات مالية للقيام بمشروعات الرى . وهنا نلاحظ التشابه بين تقرير لجنة بيل وما آلت إليه الحالة فى فلسطين الآن .

وفى سبتمبر سنة ١٩٣٧ أقر مجلس عصبة الأمم خطة التقسيم وطلب إلى انجلترا عرض البيانات التفصيلية . وقامت لجنة ودهد Woodhead ببحث مشروع التقسيم ولكنها أعلنت فى نوفمبر سنة ١٩٣٨ تعذر قيام مشروع ناجح للتقسيم .

الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ :

وفى ذلك الوقت بدت بوادر الحرب العالمية وأصدرت الحكومة البريطانية كتابها هذا وتقرر فيه أنها تأمل تكوين دولة مستقلة فى فلسطين فى مدى عشر سنوات يشترك فيها العرب واليهود . وأنه إذا نتج عن الهجرة اليهودية ضرر بالمركز الاقتصادى والسياسى للبلاد فلا مناص من تحديدها . وعلى ذلك اتبع الانجليز سياسة جديدة نحو الهجرة فسمح بهجرة ٧٥ ألف مهاجر خلال الخمس سنوات التالية وبعد ذلك لا يسمح بالهجرة إلا بموافقة العرب ، كما منع تحويل جزء من الأراضى إلى اليهود .

ويرى جون مارلو أن سياسة الكتاب الأبيض كانت حلا وسطا لنهدئة

الطرفين وخاصة لإضعاف المتطرفين فى كلا الجانبين .

فترة الحرب العالمية الثانية :

بقيام الحرب وازدياد الاضطهاد لليهود فى أوربا ازدادت الهجرة وخاصة الهجرة غير الشرعية ونشطت الصناعة اليهودية واستغل اليهود الدعاية ضد النازية فى اكتساب الرأى العام العالمى لمصلحتهم ، بينما نجد الهيئة العربية العليا التى تضم الأحزاب العربية وقد نفى أعضاؤها من البلاد واقتصر نشاط عرب فلسطين فى تلك الفترة على المقاومة السلمية وذلك بالمقالات والمؤتمرات حتى لايعوقوا مجهود الحلفاء للنصر بينما اكتسب اليهود فى فترة الحرب ميزات واضحة .

لجنة التحرى الانجلو أمريكية :

بناء على توصية من لجنة اللاجئين الدولية طلب المستر ترومان فى أغسطس سنة ١٩٤٥ إلى المستر أتلى السماح لمائة ألف يهودى بالهجرة إلى فلسطين . ثم اتفق الانجليز والأمريكان على إرسال لجنة مشتركة لبحث مشكلة فلسطين . وفى أبريل سنة ١٩٤٦ صدر تقرير اللجنة بالسماح فورا لمائة ألف مهاجر بالدخول إلى فلسطين وبقاء الانتداب الانجليزى ريثما يوضع الأمر تحت نظر هيئة الأمم مع العمل على تخفيف حدة العداء بين العرب واليهود .

جامعة الدول العربية وفلسطين :

وقعت الدول العربية فى ٣ أبريل سنة ١٩٤٥ ميثاق جامعة الدول العربية وملحقا خاصا بفلسطين ، ومن يونيو سنة ١٩٤٦ على أثر نشر مقترحات لجنة التحقيق

الانجلو — أمريكية قررت الجامعة العربية فى اجتماعها بلودان رفض المقترحات واتخذت عدة قرارات كما قررت الدخول مع بريطانيا فى مفاوضات لإنهاء الانتداب ، واستمرت المفاوضات حتى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٧ ورفض العرب مشروعا بريطانيا للتقسيم أو لإقامة دولة فيدرالية واعتزمت انجلترا عرض المشكلة على هيئة الأمم التى قررت بدورها تأليف لجنة لدراسة وتحرى المشكلة .

قرار هيئة الامم بتقسيم فلسطين :

وبناء على توصيات لجنة التحقيق الدولية أصدرت هيئة الأمم فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ قرارا بتقسيم فلسطين يتضمن انهاء الانتداب البريطانى وقيام مجلس الأمن بحفظ الأمن والسلام الدوليين فى فترة الانتقال ، والموافقة على مشروع لجنة التحقيق لتقسيم فلسطين ، والذي يتضمن إنشاء دولة يهودية وأخرى عربيـة وقيام تعاون اقتصادى بينهما مع وضع القدس تحت الوصاية الدولية . وتشمل الدولة اليهودية المنطقة الساحلية من لبنان إلى جنوب يافا مع بقاء يافا عربيـة وكذلك منطقة النقب . ويلاحظ أن التقسيم أعطى العرب واليهود مساحة تكاد تكون متساوية إلا أن المنطقة اليهودية تمتاز بالخصب وسهولة الاتصال بالخارج .

١٥ مايو ١٩٤٨ :

على أثر اذاعة قرار التقسيم قامت الاضطرابات فى فلسطين وأعلنت جامعة الدول العربية بطلان القرار وصرحت اللجنـة الخماسيـة التى ألفها مجلس

الأمن للاشراف على فترة الانتقال بتعذر قيامها بعملها إلا إذا وضع مجلس الأمن قوة عسكرية رهن تصرفها . وصرح الإنجليز بانهاء الانتداب يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ .

وفى ذلك اليوم دخلت القوات العربية أراضي فلسطين لإعادة الأمن والسلام إلى تلك البلاد وبدأت الحرب مع اليهود ، وفى ٩ يونيو قبل الطرفان الهدنة الأولى وعين الكونت فولك برنادوت وسيطا دوليا

مشروع برنادوت الاول لتقسيم فلسطين :

عرض برنادوت على الطرفين فى أواخر يونيو سنة ١٩٤٨ مشروع معدلا للتقسيم يتضمن :

١ — إمكان إنشاء نظام اتحادى فى فلسطين مؤلف من العرب واليهود على أن يشمل هذا الاتحاد شرق الأردن باعتبار أن أساس الانتداب البريطانى كان يشمل فلسطين وشرق الأردن معا .

٢ — يجرى تعيين الحدود باتفاق الطرفين .

٣ — ينشأ مجلس مركزى لتحقيق أغراض الاتحاد مع سيادة كل عضو على إقليمه سيادة تامة مع وضع نظام الهجرة التى يرغب بها فى منطقته ، على أنه يحق لكل عضو أن يطلب بعد سنتين من مجلس الاتحاد أن ينظر فى سياسة الهجرة التى يتبعها الطرف الآخر . وإذا لم يتفق الطرفان بعرض الأمر على المجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع لهيئة الأمم المتحدة ويكون قراره فى هذا مبنيا على المقدرة الاقتصادية للاستيعاب .

٤ — اقترح ضم النقب أو جزء منه للمنطقة العربية فى مقابل ضم الجليل أو جزء منه للمنطقة اليهودية ، وضم القدس المنطقة العربيـة مع تمتع اليهود فيها ببلدية مستقلة .

ورفض الطرفان المقترحات ونشبت الحرب مرة أخرى وأعلنت الهدنة الثانية فى ١٥ يوليو وهدد مجلس الأمن باتخاذ العقوبات ضد الطرف المخالف . وبرغم الهدنة توالت اعتداءات اليهود وخاصة الهجوم على الجبهـة المصرية فى ١٤ أكتوبر .

مشروع برنادوت الثانى سبتمبر سنة ١٩٤٩ :

١ — إن دولة إسرائيل قائمة فى فلسطين وليس ثمت احتمال لعدم دوامها .

٢ — استبدال الهدنة المؤقتـة truce بهدنة دائمة armistice وعمل مناطق حرام بين الفريقين .

٣ — تحديد التخوم بين الدولتين باتفاق الطرفين وإشراف هيئة الأمم . وعرض المشروع اقتراحا للحدود بموجبه يضم النقب كله للعرب وكذلك اللد والرملة . ويضم الجليل للدولة اليهودية . وجعل حيفا ميناء حرا رغم بقائها فى الدولة اليهودية ، وجعل مطار اللد مطارا حرا ، وأنه من الأفضل ضم الأقاليم العربية إلى دولة شرق الأردن بدلا من خلق دولة عربيـة جديدة . وأخيرا توضع القدس تحت إشراف هيئة الأمم

٤ — تأليف لجنة توفيق لوضع حل سلمي لمشكلة فلسطين والاهتمام بمشكلة اللاجئين .

لجنة التوفيق التابعة لهيئة الأمم

١ — قررت الهيئة في ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ بعد إبداء عميق تأثرها لخدمات الكونت برنادوت وشكرها للمستر بانش تكوين لجنة توفيق دولية من ثلاث دول (فرنسا وأمريكا وتركيا) لتقوم بالمهام التي تعهد بها إليها هيئة الأمم أو مجلس الأمن .

٢ — تخول اللجنة بناء على طلب مجلس الأمن حق القيام بالمهام الموكولة حينذاك إلى الوسيط المؤقت أو لجنة الهدنة .

٣ — أن تشكل لجنة فنية لتحديد التخوم وأن تتعاون مع الحكومات والسلطات صاحبة الشأن في شأن إقرار الصلح النهائي سواء بطريق المفاوضات المباشرة أو عن طريق لجنة التوفيق .

٤ — تقرر أن الأماكن المقدسة بما في ذلك الناصرة ينبغي حمايتها وأن تكفل حرية الحج إليها طبقا للحقوق القائمة وما جرى عليه العمل منذ القدم ، وأن تقدم اللجنة للجمعية العامة في دورتها الرابعة مقترحات مفصلة للنظام الدولي الدائم للقدس .

٥ — السماح للاجئين العرب الراغبين في العودة إلى بلادهم في أقرب وقت مستطاع ، كما تدفع تعويضات عن أملاك اللاجئين الذين يؤثرون عدم العودة

إلى بلادهم الأصلية ، وكذلك دفع تعويضات عن الخسائر أو التدمير الذي لحق الممتلكات طبقا لقواعد القانون الدولى .

وقد نجحت لجنة التوفيق فى إقرار الهدنة الدائمة فى فلسطين .

تدويل القدس :

واجتمعت الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة وانجلى الامر عن إصدار قرار بتدويل القدس (وقد نشر النص فى قسم الوثائق من هذا الكتاب)

تحسين محمد بشير

بكالوريوس الاقتصاد — جامعة فاروق الأول

obeikandl.com